بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته أجمعين محمّد وآله الطاهرين لا سيّما بقيّة الله في الأرضين عجّل الله تعالى فرجه.

السلام على الحسين وعلى عليّ بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

نحن في أيّام عزاء الحسين عليه الصلاة والسلام وقضيّة الحسين سلام الله عليه باب من أبواب علم الكلام ومباحث الإمامة. يفتح من هذا الباب أبواب كثيرة وتحصل نتائج كبيرة. ذكرته في كتابي: من هم قتلت الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، أن الإصلاح الذي أراده الإمام في أمّة جده رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، الإصلاح الذي كان يقصده هو إرجاع الأمة إلى خط أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. هذا الخط الذي رسمه الله ورسوله من أجل سعاده الأمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وعلم الكلام من العلوم الضرورية التي لابدّ من دراستها في الحوزات العلميّة إلى جنب الفقه والأصول. وكذلك كان علماؤنا من الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والسيد المرتضى والشيخ المفيد والعلّامة الحلي كلّ هؤلاء جمعوا بين الفقه والأصول وعلم الكلام.

والمهمّ من مباحث علم الكلام هو مبحث الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وللحوزة العلميّة في كربلاء المقدّسة دور كبير في هذه العلوم. السيد الطباطبائي صاحب الرياض رحمه الله الذي كان مرجع الطائف في كربلاء وأستاذ الأساتذة من جملة تلامذته سيد من أهل الهند حضر عنده وتخرّج عليه ورجع إلى بلاده أي إلى الهند وأسّس حوزة علميّة وتلك الحوزة العلميّة تركت آثاراً كبيرة في مباحث الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو السيد دلدار عليّ النقوي رحمه الله.

إنّما أذكره أداء لحقّه على الطائفة فهو الذي أسّس الحوزة العلميّة في الهند لأوّل مرّة وهو الذي نشر التشيع في تلك البلاد. وأنا درست في الحوزة العلميّة في كربلاء أنا وإن كنت من مواليد النجف الأشرف إلّا أن دراستي في كربلاء ونشاتي في هذه الحوزة العلميّة. في هذه الحوزة العلميّة درست المقدمات والسطوح عند أساتذة وفضلاء كبار، كان أكثرهم من تلامذة المرحوم جدي المرجع الكبير السيد الميلاني الذي كان يدرس في كربلاء مدّة ٢٠ سنة وعلماء كربلاء وأساتذة هذه الحوزة أكثرهم من تلامذة المرحوم جدي رحمه الله. أنا درست عندهم.

بالنسبة إلى هذه المحاضرات، هذه مبادرة مباركة من الشيخ متولّي هذه العتبة المقدّسة فهو الذي طلب منّي إلقاء هذه المحاضرات في مباحث الإمامة. وهي مبادرة مباركة كما ذكرت وذكر فضائل أهل البيت ودراستها من مصادرها الأصلية وبيان كيفيّة الاستدلال بتلك الأدلّة من الكتاب والسنّة والعقل هذا ممّا تحتاج إليه الحوزات العلميّة كلّها.

ومنهجنا في بيان الأدلّة يتلخّص أمّا من الكتاب والسنة فبذكر سند الحديث أوّلاً بعد إثبات متنه ثمّ دلالة الحديث ثمّ الشبهات المطروحة حول الحديث ثمّ المعارضات التي يذكرونها لكل حديث من الأحاديث.

فمنهجنا في دراسه كلّ حديث من الأحاديث يكون في خمسة مراحل: في معرفة المتن أوّلاً ثمّ سند الحديث ثمّ دلالة الحديث ثمّ الشبهات المطروحة حول الحديث ثمّ المعارضات التي يذكرونها للحديث كحديث الغدير مثلاً في المرحلة الأولى لابدّ من فهم متن الحديث. نصّ الحديث ماذا؟ ثمّ نتكلّم عن سند الحديث وهكذا بعد ذلك عن دلالة الحديث ثمّ الشبهات والمعارضات.

وبهذا البيان يتم الاستدلال بحديث الغدير مثلاً وبالنسبة إلى الآيات كذلك إلّا أن الآيات ليست فيها بحث من ناحيه السند لأنّ القرآن الكريم متواتر عند المسلمين فلا يبحث عن سند الآية المباركة. ففي الآيات عندنا أربعة مراحل وفي الأحاديث عندنا خمسة مراحل.

وأمّا من العقل نستدلّ بقاعدة تقدّم الفاضل على المفضول هذه القاعدة قاعدة عقلية عقلائية يمشي عليها كلّ العقلاء في سائر المباحث العلميّة في كلّ البحوث العلميّة قاعدة الأفضلية وقبح تقدّم المفضول على الفاضل.

إذاً أدلّتنا على إمامة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام تكون أوّلاً من الكتاب ثمّ من السنّة النبويّة القطعية ثمّ من العقل. هكذا سيكون منهجنا. ثمّ بعد ذلك نتعرّف لأدلّة القول الآخر الذين يقولون بإمامة غير عليّ عليه الصلاة والسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. هم أيضاً يذكرون أدلّة من الكتاب والسنّة.

فلابدّ من التعرّض لتلك الأدلّة والبحث حولها وفي جميع المراحل هذه كلّ مصادرها في هذه المحاضرات ستكون من كتب الرأي الآخر أي من كتب أهل السنّة. من كتبهم في الحديث من كتبهم في التفسير من كتبهم في التاريخ وهكذا العلوم الأخرى.

هذه هي الإمامة التي نريد أن نبحث حولها ونحن اصطلاحاً نعبّر عن هذه الإمامة بالإمامة التطبيقية. هناك بحوث حول الإمامة في داخل المذهب، لا علاقة لها بالآخرين كمباحث الولاية لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام هل للأئمّة الأطهار ولاية تكوينيّة أو لا؟ وهكذابحوث أخرى هل يعلمون الغيب أو لا؟ وهكذا بحوث أخرى.

تلك البحوث إنّما تطرح في داخل المذهب أمّا مع البحث الآخر أي مع البحث مع الآخرين، فذلك له منهج آخر غير هذا المنهج. البحث مع الآخرين إنّما يكون على ضوء الكتاب والسنّة والعقل أمّا الكتاب فلا اختلاف فيه. هذا الكتاب القرآن الكريم الموجود بين أيدينا وهو حجّة عند جميع المسلمين وكلام الله سبحانه وتعالى ولا اختلاف فيه أبداً.

أمّا من الأحاديث فنحن نستدلّ بالأحاديث الصادرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالأسانيد المعتبرة عند الرأي الآخر. حتّى نتمكّن من الاحتجاج عليه. وأمّا من العقل فكما ذكرت من قبل فدليلنا سيكون بقانون الأفضلية. هذا ملخّص منهجنا بحول الله وقوته في هذه المحاضرات.

لا نقصد من هذه المحاضرات الردّ على أحد ولا نريد إبطال عقيدة لطائفة أخرى. وإنّما المقصود بيان أدلّة إعتقادنا بإمامة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام بعد رسول الله مباشرة. نريد أن نبيّن أدلّتنا على هذه العقيدة. حتّى يتقوّى أبناء هذا المذهب في إيمانهم وعقيدتهم وحتّى نتمكّن من إعداد صلّة من الفضلاء للدفاع عن هذا المذهب. متى ما كانت هناك مناظرة مع الآخرين أو مناقشة يكونون على استعداد للورود في البحث مع الآخرين هذا هو المقصود ليس المقصود الرد على الآخرين أو إبطال رأي أو عقيدة في غير الإمامية. هذا منهجنا في بحوثنا.

فنقول إنّ أعظم خلاف وأكبر نزاع وقع بين المسلمين في التاريخ، هو الاختلاف في الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. هذا أعظم اختلاف وقع بين المسلمين منذ اليوم الأوّل وإلى يومنا هذا الخلاف موجود. وما سلّ سيف في الإسلام كما سلّ في مباحث الإمامة والخلافة كما يعبّر أبو الفتح الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل يقول: ما سلّ سيف في الإسلام كما سلّ في مباحث الإمامة والخلاف.

لقد اتّفقت القبائل القرشية على عزل بني هاشم عن الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه اتّفقوا على هذا وسأذكر المصادر فيما بعد إن شاء الله تعالى.

اتفق القبائل القرشية كلّها على عزل أهل البيت عن الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وبنو هاشم أيضاً اختلفوا فكان الحسنيون وكان الزيديون وكان بنو العباس وكلّهم يدّعي الإمامة.

ولكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما زال يوصي الأمة منذ اليوم الأوّل بأهل البيت. هذا الحديث المشهور المعروف بل المتواتر بين المسلمين المعروف بحديث الثقلين: إنّي تاركم فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى باتباع أهل بيته وعترته من بعده، ثمّ عين رسول الله بنفسه أهل البيت في أحاديث اتّفق الكلّ على روايتها عيّنهم في عليّ وفاطمة والحسن والحسين كحديث الكساء وغير هذا الحديث كما سنذكر إن شاء

الله بالتفصيل. فالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى الأمّة باتباع الكتاب والعترة من بعده وعيّن العترة بأهل البيت من بعده. عيّن أشخاصهم في أحاديث اتّفق الكل على روايتها. ومن هنا يظهر أهميّة بحث الإمام وسنعود وسنوضّح هذا فيما بعد إن شاء الله تعالى.

هذا أعظم اختلاف وقع بين المسلمين منذ اليوم الأوّل. وما زال هذا الاختلاف موجود. ولكن أترى أن ليس هناك اختلاف في التوحيد؟ أترى أن ليس هناك اختلاف في العدل؟ أترى أن ليس هناك اختلاف في النبوة؟ هذه الأصول أيضاً مورد اختلاف كبير بين المسلمين.

صحيح أن كلّ المسلمين متّفقون على أن الله سبحانه وتعالى واحد. أمّا بالنسبة إلى صفات الباري سبحانه وتعالى وأنّه يرى أو لا يرى؟ وأنّ الصفات زائدة على ذاته المقدّسة أو الصفات عين الذات؟ وهل أن الله سبحانه وتعالى جسم أو ليس بجسم؟ سأذكر بعض الكلمات فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وبالنسبة إلى النبوّة هل الأنبياء كلّهم معصومون؟ وهل يجوز أن يكفر النبيّ من الأنبياء بعد نبوّته؟ هل تصدر المعاصي من الأنبياء أو لا تصدر؟

عند الآخرين أقوال عجيبة وغريبة في هذا الباب. أمّا نحن الشيعة الإماميّة الاثنى عشرية فنقول بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر ولا يصدر من النبيّ أيّ ذنب أو معصية أبداً. أمّا في صحيح البخاري تقرؤون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات. تقربون في المصادر المهمّة من أهل السنّة حديث الغرانيق هذا الحديث المعروف المشهور وسأذكر بعض المصادر إن شاء الله تعالى فيما بعد.

إذاً وإن كانت مباحث الإمامة أهمّ المباحث الخلافية بين المسلمين، إلّا أن المسلمين قد اختلفوا أيضاً في الأصول الأخرى من التوحيد والعدل والنبوّة.

وقبل الورود في البحث الإجمالي عن الأصول الثلاثة المذكورة، أقدّم نقطتين أو أمرين:

الأمر الأوّل: كلّ إنسان عاقل فإنّه يحتاج في حياته الفردية والاجتماعية إلى قوانين وضوابط وموازين توفّر له السعادة المادية والمعنوية. كلّ إنسان عاقل يحتاج إلى هكذا قوانين وهذا ما ممّا يعترف به كلّ العقلاء. الإنسان يحتاج إلى ضوابط وقوانين وموازين في حياته الفردية والاجتماعية في حياته الفردية وفي حياته مع الآخرين يحتاج إلى موازين وضوابط. وبما أنّنا مسلمون نعتقد بأنّ القانون الذي يتكفّل لنا السعادة المادية والمعنوية الدنيوية والأخروية هذا القانون هو الدين والدين الحقّ هو الإسلام الذي جاء به رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

هذا الدين يتشكّل من ثلاثة قوائم أو ثلاثة أبعاد أو ثلاثة أقسام ما شئت فعبّر.

القسم الأوّل: أصوله التي نعبر عنها بأصول الدين. وهي التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد. ففي بحث التوحيد يقام البرهان على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى أنّه واحد فرد أحد لم يلد ولم يولد.

وفي بحث العدل يقام البرهان العقلي أو النقلي أيضاً على أن الله سبحانه وتعالى عادل لا يظلم أبداً.

في البحث النبوّة يقام البرهان على نبوّة الأنبياء السابقين ونبوّة نبينا خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي بحث الإمامة يقام الدليل والبرهان على أن خليفة رسول الله والإمام من بعده هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

وفي بحث المعاد يقام البرهان على أن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان. بل هناك عالم آخر وراء هذا العالم. هذا هو القسم الأوّل من أقسام الدين والشريعة الاسلاميّة.

القسم الثاني: هو فروع هذا الدين من الصلاة والصيام والحج والزكاة والخمس إلى آخره وهي أحكام عملية في هذا القسم المكّلف لابدّ وأن يكون مجتهدا أو محتاطاً في عمله أو مقلداً.

أمّا في القسم الأوّل المكلّف عليه أن يتمكّن من إقامة الدليل على عقائده ولا تقليد في الأصول.

القسم الثالث من أقسام هذه الشريعة المقدّسة: الأخلاق فإنّ مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام تؤكّد على الأخلاق على التقوى على التحلّي بالصفات الحسنة على تهذيب النفس هذه المدرسة تؤكّد على هذا كما تؤكّد على الصلاة والسلام.

فأمّا الأصول فموضعها القلب وأمّا الفروع فموضعها أعضاء البدن وأمّا الأخلاق فموضعها النفس فمن صحّت عقائده وصحّت أعماله وهذّب نفسه من الصفات السيئة، مثل هذا الفرد، يكون من أفراد مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. الذي قال الإمام الصادق سلام الله عليه: كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا.

الإنسان المستقيم في عقائده وفي أعماله العبادية وفي أخلاقه مثل هذا الإنسان، يكون فرداً مهذّباً صالحاً يعدّ من أبناء أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأبناء مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: نحن مسلمون ويتحقّق الإسلام بشهادة أن لا اله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن شهد بهاتين الشهادتين كان لهما للمسلمين وعليهم وعلى المسلمين. ولكن نحن مؤمنون أيضاً والإيمان هو القول بإمامة عليّ وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فنقول بعد الشهادتين: أشهد أن عليّاً وليّ الله. هذه الشهادة الثالثة.

ولكنّ الشهادة دائماً مشروطة بالعلم. الشهادة دائماً مشروطة بالعلم. فلو أنّك حضرت المحكمة وتريد أن تشهد أنّ هذه الدار لزيد لا لعمرو، يسألك الحاكم: أتعلم بذلك؟ فلو قلت: أظنّ أن هذه الدار لزيد، أخرجك الحاكم من المحكمة.

ولذا عندنا في الروايات أن الإمام عليه الصلاة والسلام أشار إلى الشمس قال: على مثل هذه فاشهد أو دع. إذا أردت أن تشهد، لابدّ أن يكون الأمر واضحا عندك تماماً كما أن هذه الشمس واضحة. على مثل هذه فاشهد أو دع. لا تشهد إذا الشهادة دائماً في أيّ باب من الأبواب في أيّ أمر من الأمور في أيّ موضوع من المواضيع الشهادة مشروطة بالعلم.

أريد أن أشهد الشهادتين، لابدّ أن أعلم وأعرف وربي بقدر مسعي في التفكر فكل مكلّف من المكلّفين عليه أن يعرف ربه ويقيم الدليل والبرهان على وجود الله سبحانه وتعالى بقدر وسعه إذ لا تقليد في العقائد. لا تقليد في أصول الدين.

ولذا العلم إذا أردنا أن نشهد لابدّ وأن تكون شهادتنا عن علم والعلم يختلف بحسب أحوال المكلّفين كلّ مكلّف بقدر وسعه لابدّ وأن يصل إلى العلم حتّى يشهد.

والمطلوب من عندنا نحن طلّاب الحوزة العلميّة أن نكون على علم في أعلى درجات العلم. لا يكون علمنا بأصول الدين كما يعلمه ذلك الكاسب العامل أو الفلاح مثلاً. المطلوب من عندنا غير المطلوب من أولئك والمطلوب من أولئك غير المطلوب من عندنا. إذا لابدّ علينا أن نشتغل ونعمل ونفكّر وندرس حتّى تكون شهادتنا شهادة علميّة واقعية نريد أن نشهد أن لا اله إلّا الله، أن نشهد برسالة النبيّ، أن نشهد بالولاية العلويّة، هذه الشهادة منوطة بالعلم والعلم المطلوب من عندنا غير العلم المطلوب من الآخرين من سائر الناس.

ولذا اتّفق علماؤنا كلّهم على أن لا تقليد في الأصول على كلّ مكلّف أن يتمكّن من إقامة البرهان على عقيدته بقدر وسعه وقدرته على التفكّر.

وهذا من جملة الفوارق المهمّة بين أصول الدين وفروع الدين. ولذا نقول بضرورة دراسة مسائل الإعتقادية في الحوزات العلميّة إلى جنب الفقه والأصول. الفقه والأصول علوم تتعلّق بالأعمال العبادية. أمّا بالنسبة إلى المسائل الإعتقادية فهذا علم الكلام لابدّ وأن يدرس علم الكلام ويدرّس هذا العلم في الحوزات العلميّة حتّى تصحّ منّا الشهادة. سواء في الشهادتين أو في شهادة الثالثة.

وهذا وجه آخر لأهميّة علم الكلام وضرورة طرح هذه المباحث في الحوزات العلميّة.

وهنا نقطة لا بأس بهذه النقطة وهي هناك بحث بين العلماء السابقين وهذا البحث موجود في الكتب هل هناك ترادف بين الإسلام والإيمان؟ أو الإيمان أخصّ من الإسلام؟ هذا بحث فقهي حديثي كلامي مهمّ جداً ويترتب عليه آثار كبيرة. هل الإيمان والإسلام مترادفان؟ أو أن الإيمان أخصّ من الإسلام؟

إنّما الكلام في أنّه إذا كانت الشهادة منوطة بالعلم، فكيف يحصل العلم بالله وبالرسالة وبالولاية حتّى نشهد؟ كيف يحصل هذا العلم؟

لا يخفى عليكم أنّ الشهادة في اللغة هي الحضور والرؤية. الشهادة لغة هي الحضور. قوله تعالى: **(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)** اي من كان في بلده غير مسافر حاضر في البلد ورأى الهلال فعليه أن يصوم فمن شهد منكم الشهر فليصمه. إذا كلمة شهد بمعنى حضر.

الشيء المحسوس الشيء المحسوس يرى بالبصر أمّا الشيء غير المحسوس كالله سبحانه وتعالى ونبوّة النبيّ وولاية الأمير عليه الصلاة والسلام هذه أمور غير محسوسة هذه أمور معقولة غير محسوسة كيف يحصل العلم بها حتّى نشأت؟

يقول العلماء بأنّ الحضور والرؤية على قسمين: رؤية بالبصر والرؤية بالبصيرة. ولذلك ما سئل أمير المؤمنين كما في نهج البلاغة سئل أنّ الله سبحانه وتعالى الذي تعبده أنت أرأيته؟ أرأيت الله سبحانه وتعالى؟ قال: وهل أعبد رباً لم أره؟ رأيت الله سبحانه وتعالى ولكنّ بالبصيرة لا بالبصر. إذا لابدّ من إقامة البرهان على وجود الله والرسالة المحمّدية صلّى الله عليه وآله وسلّم والولاية العلويّة عليه الصلاة والسلام نتمكّن من إقامة البرهان حتّى يصحّ لنا أن نشهد برسالة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذه الأمور الاعتقادية الأصلية. ذلك واجب على كل مكلّف بقدر وسعه في التفكّر.

أمّا نحن طلّاب الحوزة العلميّة فالواجب علينا أن نعمل أكثر ممّا يجب على الآخرين. أن نفكّر وندرس أكثر ممّا على الآخرين. سائر المكلّفين بقدر ما يمكنهم من إقامة الدليل، على هذه الأمور التي أريد أن يشهد بها يقبل منه هذا العلم وتقبل منهم هذه الشهادة أمّا منّا نحن الطلّاب في الحوزة العلميّة فالمطلوب منّا أكثر وأكثر وأكبر وأكبر ممّا هو مطلوب من غيرنا حتّى نكون أقوياء في عقيدتنا ولنتمكّن من إقامة البراهين على عقائدنا في أيّ مناظرة في أي مناقشة في أي مناسبة في أيّ فرصة حصلت لنا ذلك. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا للعلم وللعمل أن يوفّقنا لتحصيل هذه المعارف الدينية الأصلية ونهتمّ بها ونتوصّل إلى النتائج المطلوبة وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.